

الفرج بعد الشدة

[257] كنت مع الرشيد بطوس لما ثقلت علته وقد ورد بكر بن المعتمر والمأمون حينئذ بمرور، وقد طفر الرشيد بأخى رافع بن الليث. فأحضر ذلك اليوم ومعه قرابة له فخلع الرشيد على بكر وصرفه إلى منزله. ثم أمر بإحضاره ومطالبته بالكتب فجدها فأمر بحبسه ثم جلس الرشيد مجلسا عاما في مضرب خز أسود، استدارته أربعمائة زراع، وقبائه مغطاة بخز أسود وهو جالس في فارة خز أسود في وسط المضرب، والعمد كلها سود وقد جعل مكان الحديد فضة، والالوتاد والحبال كلها سود وعليه جبة خز سوداء وعليه فتك قد استشعره لما هو فيه من شدة البرد والعدة، وفوقها دراعة خز أسود مبطنة بفتك وقلنسوة طويلة وعمامة خز سوداء وهو عليل لما به وخلف الرشيد خادم يمسكه لئلا يميل ببدنه، والفضل بن الربيع جالس بين يديه فقال للفضل: مر بكرا باحضار ما معه من الكتب السرية فأنكرها وقال: ما كان معي إلا الكتب التي أوصلتها. فقال للفضل: توعده وأعلمه ان لم يفعل قتلته فأقام ينكر وقال: ما كان معي إلا الكتب التي أوصلتها. فقال الرشيد بصوت: قنبوه. فنحى بكر وجئ بالقنب وقنب من قرنه إلى قدمه. قال بكر: فأيقنت بالقتل ويئست من نفسي وعملت على الاقرار فأنا على ذلك حتى أحضر هارون أخى رافع وقرابته الذين كانوا معه وقال أيتوهم رافع أنه بغلبنى وإني لو كان معه عدد نجوم السماء لالتقطهم واحدا بعد واحد حتى أقتلهم عن آخرهم، فقال الرجل: إني يا أمير المؤمنين إني تعالى يعلم، وأهل خراسان أنى برئ من أخى منذ عشرين سنة ملازم مسجدي فاتق إني تعالى في وفى هذا الرجل. فقال له قطع إني لسانك. فسكت فقال: آخى الثالث أنت وإني منذ كذا وكذا تدعو إني تعالى بالشهادة فلما رزقنها على يدي أشر خلقه أخذت في الاعتذار فاغتاظ الرشيد وقال: على جزارين فقال له قرابتي يا هارون. إفعل ما شئت. فانا نرجو أن نكون نحن وأنت بين يدي إني تعالى في أقرب مدة فتعلم كيف يكون حالك. فصاح وأمر الجزارين بهما فقطعا عضوا عضوا فو إني ما فرغ منهما حتى توفى الرشيد. فقال بكر وأنا أتوقع القتل بعدهما